

أضواء البيان

@ 270 @ .

وقد قدمنا أقوال العلماء في المراد بالأشد ، وهل هو جمع أو مفرد مع بعض الشواهد العربية في سورة الأنعام ، فأغنى ذلك عن إعادته هنا . .
وقوله تعالى في هذه الآية { وَمِنْكُمْ مَّنْ يَتَّبِعْ آلَ فِرْعَوْنَ } أي ومنكم أيها الناس من يتوفى من قبل : أي من قبل بلوغه أشده ، ومنكم من ينسأ له في أجله ، فيعمر حتى يهرم فيرد من بعد شبابه وبلوغه غاية أشده إلى أرذل العمر ، وهو الهرم ، حتى يعود كهيئته في حال صباه من الضعف ، وعدم العلم . .

وقد أوضحنا كلام العلماء في أرذل العمر ومعنى { لِكَيْ يَلَّغَ يَعْلَمَ مِّنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا } في سورة النحل ، فأغنى ذلك عن إعادته هنا . .

وهذا الذي ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة من الاستدلال على كمال قدرته ، على بعث الناس بعد الموت ، وعلى كل شيء ينقله الإنسان من طور إلى طور ، من تراب ، ثم من نطفة ، ثم من علقة إلى آخر الأطوار المذكورة ، ذكره جل وعلا في مواضع من كتابه مبيناً أنه من البراهين القطعية على قدرته ، على البعث وغيره . .

فمن الآيات التي ذكر فيها ذلك من غير تفصيل لتلك الأطوار قوله تعالى { كَلَّا - إِنَّ زَا جِئْتُمْ بِإِنسَانٍ فَخُلِقَ خَلْقًا مِّمَّا يَخْلَقُ الْوُجُوهَ } وقوله تعالى { مَّا لَكُمْ لَّا تَرَوْا كُونَ لِلَّهِ * وَقَارًا } وَقَدَّ خَلْقَكُمْ أَطْوَارًا } أي طوراً بعد طور كما بينا قوله تعالى { خَلْقَكُمْ مِّنْ نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلْ مِنْهَا زَوْجَهَا وَانزَلَ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ نَعِيمًا ثُمَّ نَزَّلْنَاهُ عَلَى رِجَالِكُمْ } فِي بَطُونٍ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ السُّلْطَانُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنزَلْنَاهُ تُمْرَةً فُؤُونًا } وقوله في آية الزمر هذه في ظلمات ثلاث : أي ظلمة البطن ، وظلمة الرحم ، وظلمة المشيمة . فقد ركب تعالى عظام الإنسان بعضها ببعض وكساها اللحم ، وجعل فيها العروق والعصب ، وفتح مجاري البول والغائط ، وفتح العيون والآذان والأفواه وفرق الأصابع وشد رؤوسها بالأظفار إلى غير ذلك من غرائب صنعه ، وعجائبه ، وكل هذا في تلك الظلمات الثلاث ، لم يحتج إلى شق بطن أمه وإزالة تلك الظلمات . .

سبحانه جل وعلا ما أعظم شأنه وما أكمل قدرته هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا

إلا [] هو العزيز الحكيم ، ولأجل هذه الغرائب والعجائب من صنعه تعالى قال بعد

التنبيه عليها { ذَلِكُمْ اللّٰهُ رَبُّكُمْ ۗ لَهُ السَّمٰوٰتُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ

فَاَزَّيَّتْ رُءُوسُ فُؤُوْدِهِمْ } ومن